



لم تبدأ ورطة إيران عملياً مع «الاستكبار» الروسي من امتناع موسكو عن التصويت على قرار مجلس الأمن الذي طالب الحوثيين بالانسحاب من المناطق التي احتلواها، فذلك موقف تم ابلاعه بقدر ما من التفهم المشوب بالماراة، لكنه بدأ عملياً منذ اللحظة التي تجرّع فيها الإيرانيون كأس السم، وطالبوها بالتدخل الروسي المباشر في الحرب بسوريا، وصولاً إلى زيارة بشار الأولى خارج سوريا إلى موسكو، والتي بدت كما لو أنها بيعة منه للسيد الروسي، وتهميضاً للسيد الإيراني الذي كان يعتقد أنه وضع يده على البلد، أو الجزء الذي يسيطر عليه بشار منه بتعبير أدق، وهو وضع لا تغير فيه كثيراً زيارة بشار إلى طهران التي كان لا بد منها لترميم الموقف، والتي توقيعها منذ لحظة الإعلان عن زيارته لموسكو.

نفتح فاصلة لنشير إلى قول بشار الأسد في خطاب له قبل شهور: إن سوريا ليست للسوريين، وإنما لمن يدافعون عنها، ما يعني أن من الطبيعي أن تكون إيران وأدواتها أكثر مما للروس، فالأخيرون لم يدفعوا سوى القليل؛ مالاً وسلاماً ورجالاً، بينما قدمت إيران عشرات المليارات حتى الآن، إضافة إلى آلاف القتلى من الأتباع، والمئات من أبنائها.

تبدأ الإشكالية الإيرانية مع روسيا من لحظة التوصيف، فالأخيرة اليوم لا تختلف كثيراً عن الولايات المتحدة من حيث كونها قوة إمبريالية تبحث عن المصالح والنفوذ، وما فعلته في أوكرانيا، لم تفعله أميركا مع تمرد دول أمريكا اللاتينية عليها في العقود الماضيين، ومن هنا، فهي بالضرورة لا تقدم وجبات مجانية لأحد.

أما العلاقة مع الكيان الصهيوني، فهي في حالة روسيا لا تقل حميمية عنها في حالة الولايات المتحدة، ومن العبث تسويق حكاية المقاومة والممانعة في ظل التدخل الروسي، وما التنسيق المتقدم بين الطرفين الروسي والإسرائيلي سوى دليل بسيط.

وإذا قال البعض إننا نمارس التحليل، وربما تسويق الأمنيات، فإن الشكوك الإيرانية حيال «الاستكبار» الروسي لم تعد من الأسرار، وما لا ي قوله السياسيون، تقول الواقع والصحف ومراكز الدراسات التعبير عنه، فهذا مركز دراسات الدبلوماسية الإيرانية، وهو من أهم مراكز البحث في إيران يقول صراحة إن «دخول الروس إلى الساحة السورية يهدد المصالح الإيرانية؛ ليس في سوريا فحسب بل في المنطقة كلها».

ولا يتوقف الأمر هنا على تهديد المصالح، بل وصل الحال حد اتهام طيران الروس بتصفيف موقع للحرس الثوري بسوريا، كما فعل موقع «سهام» المقرب من القيادي الإصلاحي مهدي كروبى، ولم يتردد كثيرون في اتهام موسكو بالتوطؤ مع الصهاينة في اغتيال سمير القنطار، بل إن باحثين ذهبوا إلى التشكيك في الأسباب التي أدت إلى تصاعد الخسائر في صفوف حزب الله والحرس الثوري، وردها إلى القصف الروسي.

بعيداً عن تفصيلات كثيرة من هذا النوع، فإن الثابت أن التناقض بين الروسي والإيرانيين في سوريا لم يعد سراً، لكن الأمر يتجاوز سوريا بحسب مركز دراسات الدبلوماسية الإيرانية، ذلك أن بوتن ليس شيوعاً ينشر أفكاره، بل هو قائد قوة تبحث عن مصالحها، ويمكنها تبعاً لذلك أن تدخل في صفقات من شتى الألوان مع الآخرين من خصوم وأعداء إيران، لاسيما أنه لا يطمئن تماماً إلى الوضع داخل إيران، لجهة تصاعد النفوذ الإصلاحي الذي سيكون أقرب إلى الغرب منه إلى سوريا.

أما الأهم، فهو أن قدرة بوتن على احتمال الخسائر ليست كبيرة؛ لا بشرياً ولا اقتصادياً، وهو ما قد يدفعه إلى ترتيب صفقات

تجاهل الهواجس الإيرانية الأقرب إلى الأحلام الطائفية؛ منها إلى الواقعية السياسية.

هكذا، يتتأكد العقلاء من عبئية مشروع التمدد الإيراني، وكلفته الكبرى باستدعاء غالبية الأمة، مع الأحلاف الأخرى التي تحدثنا عنها آنفاً، لكن الفرصة ستبقى متوفّرة لصفقة متوازنة مع تركيا والعرب توفر تعايشاً ومصالح للجميع، وهي صفقة يمكن أن تتم بعيداً عن الاستكبار الأميركي والروسي في آن، لو توفر المنطق والرشد.

العرب القطرية

المصادر: